

دور القادة الدينيين فى بيان مبادئ الإسلام وأثره فى نشر ثقافة السلام

الأستاذ الدكتور/ ذو الكفل بن محمد البكرى

مفتى الولايات الاتحادية

ماليزيا

الحمد لله ذى الجلال والإكرام، وصاحب الفضل والإنعام، وشارع الحلال والحرام، الملك القدوس السلام، القائل فى كتابه الكريم: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(١)، وأفضل الصلاة وأزكى السلام على سيدنا محمد خاتم الرسل الكرام، وعلى آله وصحبه أعلام الإيمان، ومصابيح الإسلام، وعلى التابعين لهم بإحسان ما شدا الحمام، وهطل الغمام، واكتمل بدر التمام.

وبعد ،،،

فإن ثقافة السلام فى الإسلام ثقافة أصيلة عميقة، تتصل اتصالاً وثيقاً بطبيعته؛ إذ إن الإسلام شريعة السلام ودين الرحمة ما فى ذلك شك، لا يخالف هذا إلا جاهل بأحكامه، أو حاقد على نظامه، أو مكابر لا يقتنع بدليل ولا يسلم ببرهان، بل إن اسم الإسلام نفسه مشتق من صميم هذه المادة " مادة السلام " ، والمؤمنون بهذا الدين لم يجدوا لأنفسهم اسماً أفضل من المسلمين، قال تعالى: ﴿مَلَّةٌ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مَن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِرَسُولٍ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ

(١) يونس : ٢٥.

وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴿^(١)﴾، وحقيقة هذا الدين الإسلام لرب العالمين، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿^(٢)﴾، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ ۗ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿^(٣)﴾، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿^(٤)﴾، وختام الصلاة عند المسلمين سلام على اليمين وسلام على اليسار؛ كأنهم يبدؤون أهل الدنيا من كل نواحيها بالسلام بعد أن فارقوها بخواطرهم لحظات انصرفوا فيها لمناجاة الله الملك العلام.

والله تبارك وتعالى اسمه " السلام " ، قال تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ ﴿^(٥)﴾، وتحية أهل الإسلام فيما بينهم هي " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" وما أعذبها من عبارة وأحلاها من تحية.

وتحية المسلمين نموذج سريع لبيان الهالة العظيمة التي تبرز هذا المفهوم في شريعة الإسلام، ومفردة " السلام " صارت جزءاً من معجم اللغة الدولية العالمية اليومية، فإذا نظرنا إلى هذه المفردة في القرآن الكريم فقط نجد أن السلام يحيط بهذا الدين وأركانه ابتداء واختتاماً بصورة فريدة، ولا يظهر أنه توجد ديانة، أو نظرية، أو مبدأ قد جمع ذلك، ولو أنصفت الثقافة العالمية، والمجتمع الدولي لأذهلهم هذا التركيز العجيب لثقافة السلام في المنهج الإسلامي، وهذا السبق الإسلامي الفريد لإشاعة هذه الثقافة بين الأمم، ولكانت تحية الإسلام هي التحية المختارة بين الشعوب العالمية للتبادل، كما أخذوا من المسلمين الأرقام العربية المغربية المستخدمة في جميع أنحاء العالم إلى اليوم.

وليست في الدنيا شريعة دينية ولا نظام اجتماعي فرض السلام تدريجياً عملياً واعتبره شعيرة من شعائره وركناً من أركانه كما فرض الإسلام رياضة النفس على السلام بالإحرام في الحج ، فمتى أهل المسلم به فقد حرّم عليه منذ تلك اللحظة أن يقص ظفراً أو يحلق شعراً أو يقطع نباتاً

(١) الحج : ٧٨ .

(٢) البقرة : ١١٢ .

(٣) البقرة : ١٣١ .

(٤) الأنعام : ٧١ .

(٥) الحشر : ٢٣ .

أو يعضد شجرًا أو يقتل حيوانًا أو يرمى صيدًا أو يؤذى أحدًا بيد أو لسان ، حتى ولو وجد قاتل أبيه وجهاً لوجه لما استطاع أن يمسه بشيء، قال تعالى: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾^(١) فهو بهذا الإحرام قد أصبح سلمًا لنفسه ، وسلمًا لغيره من إنسان أو حيوان أو نبات. والإسلام دين الرحمة، فهي قرين السلام في تحية المسلمين، ونبي الإسلام إنما أرسله الله رحمة للعالمين، وكلمة المسلم التي يرددها قبل كل قول أو عمل : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، والوصية بين المؤمنين الصبر والمرحمة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾^(٢).

وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد ﷺ وأعماله وتصرفاته كلها تدل على سمو منزلة الرحمة بين الأخلاق التي يأمر بها هذا الدين. ولقد أدهش واقع الرحمة العملى للنبي ﷺ المراقبين من غير المسلمين، فالمستشرق الإسباني (جان ليك) يقول فى كتابه (العرب): " لا يمكن أن توصف حياة محمد بأحسن مما وصفها الله بقوله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣)، كان محمد رحمة حقيقية، وإنى أصلى عليه بلهفة وشوق"^(٤).

وقد جعل الله الرسالة الإسلامية العادلة عالمية لكل بنى الإنسان، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّخِذُ النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾^(٥)، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾^(٦)، وذلك لتكريم الإنسانية وإقرار مناهج العدالة بين أفرادها، كما قال بعض العلماء : وقد بعث الله رسوله محمدًا ﷺ بأفضل المناهج والشرائع ، وأنزل عليه أفضل الكتب، ومن لم يرغب فى الإسلام دينًا فإنه يجده نظامًا سمحًا رائعًا يتعايش مع عدله وإنسانيته.

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) البلد: ١٧-١٨.

(٣) الأنبياء: ١٠٧.

(٤) عن كتاب : مقارنة الأديان - قسم الإسلام، د . أحمد شلبي ص ٢٩٤.

(٥) الأعراف: ١٥٨.

(٦) سبأ: ٢٨.

ومن الخير للإنسانية كلها أن يتجه المسلمون إلى العودة لدينهم، فإن ذلك سيكون أكبر دعائم السلام على الأرض، والدافع في ذلك ليس التعصب الأعمى ولكن الاقتناع التام بفضل ما جاء به الإسلام، وانطباقه تمام الانطباق على أرقى ما كشف عنه التفكير العقلي السليم من قواعد الاجتماع الصالحة، ودعائم نظمه القوية الثابتة، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (١)، وقد ظهر جلياً ما للإسلام في أصوله وقواعده من سمو ورقى وصلاحية واكتمال ، وأنها أكمل وأدق وأفضل وأشمل وأجمع من كل ما كشفت عنه الفلسفات الاجتماعية والعقول المصلحة إلى الآن، يقول الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢).

ومن وجهة نظري أنّ من أعظم أدوار القادة الدينيين في نشر السلام في العالم يكون بتبيينهم التالي :

أولاً : تبيين حقيقة دين الأنبياء

يجد القارئ للقرآن الكريم أن الله تعالى يربي المسلمين على التسامح بتعليمهم أن مصدر الدين الذي جاء من رب العالمين واحدٌ، فقد أقر الإسلام بأن هناك من يدين بأديان مختلفة غير صحيحة، ولم يعاقب على تعددها ، بل أقر وجودها وإن كانت باطلة، فقال تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٣)، ولكنه بين أن الدين الذي جاء من رب العالمين واحدٌ لا يتعدد ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٤)، فهو دين نوح عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِّنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٥)، وهو دين إبراهيم عليه السلام وأبنائه، قال تعالى:

(١) الأحزاب : ٤ .

(٢) المائدة : ١٥-١٦ .

(٣) الكافرون : ٦ .

(٤) آل عمران : ١٩ .

(٥) يونس : ٧٢ .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمٌ ^ط قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَدْبِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢﴾ ، وهو دين موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْقُومُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (٢)، ولما طلب فرعون الإيمان بدين بنى إسرائيل عبّر عن ذلك ، قال تعالى : ﴿ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣)، وقيل عن لوط وأهله، قال تعالى: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٤)، والإسلام هو دين سليمان عليه السلام الذى دعا إليه ملكة سبأ حيث جاء فى القرآن الكريم : ﴿ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (٥) ، ولما أعلنت اتباعها لسليمان عبّرت عن ذلك ، قال تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦)، وهو دين عيسى عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحْسَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٧)، وهو دين المؤمنين من الجن كما فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ^ط فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ (٨)، وقال تعالى عن هذه التسمية عموماً: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ^ع هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ^ع مِلَّةَ

(١) البقرة : ١٣١-١٣٢.

(٢) يونس : ٨٤.

(٣) يونس : ٩٠.

(٤) الذاريات : ٣٦ .

(٥) النمل : ٣١ .

(٦) النمل : ٤٤ .

(٧) آل عمران : ٥٢ .

(٨) الجن : ١٤ .

أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴿١﴾، وما بعث الله خاتم الأنبياء إلا بالإسلام حيث قال لنبيه ﷺ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ﴿٢﴾، وقد جاء الإسلام الحنيف يعلن الأخوة الإنسانية ويبشر بالدعوة إلى العالمية، ويبطل كل عصبية، ويسلك إلى تحقيق هذه الدعوة الكريمة السامية كل السبل النظرية والعلمية، ومن ذلك :

١- تقرير وحدة الجنس والنسب :

فقد قرر وحدة الجنس والنسب للبشر جميعاً، " فالناس لآدم لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، " وحكمة التقسيم إلى شعوب وقبائل إنما هي التعارف لا التخالف، والتعاون لا التخاذل، والتفاضل بالتقوى والأعمال الصالحة التي تعود بالخير على المجموع والأفراد، والله رب الجميع يرقب هذه الأخوة ويرعاها، ويطالب عباده جميعاً بتقريرها ورعايتها، والشعور بحقوقها والسير في حدودها.

ويعلن القرآن الكريم هذه المعانى فى بيان ووضوح فيقول : ﴿ يَتَأَيُّبُ النَّاسُ أَنْتُقُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ﴿٣﴾. ويقول النبي محمد ﷺ فى حجة الوداع : " إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها بالآباء والأجداد، الناس لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى " ويقول: " ليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية" ﴿٤﴾. وبهذا التقرير قضى الإسلام تماماً على التعصب للأجناس أو الألوان .

٢- تقرير وحدة الدين ووجوب الإيمان بالأنبياء جميعاً :

قرر الإسلام وحدة الدين فى أصوله العامة، وأن شريعة الله تبارك وتعالى للناس تقوم على قواعد ثابتة من الإيمان والعمل الصالح والإخاء، وأن الأنبياء جميعاً مبلغون عن الله تبارك وتعالى ،

(١) الحج : ٧٨ .

(٢) المائدة : ٣ .

(٣) النساء: ١ .

(٤) رواه أبو داود .

وأن الكتب السماوية جميعاً من وحيه، وأن المؤمنين جميعاً في أية أمة كانوا هم عباده الصادقين الفائزين في الدنيا والآخرة، وأن الفرقة في الدين والخصومة باسمه إثم يتنافى مع أصوله وقواعده، وأن واجب البشرية جميعاً أن تتدين وأن تتوحد بالدين، وأن ذلك هو الدين القيم وفطرة الله التي فطر الناس عليها، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ﴾^(١)، ويقول القرآن الكريم مخاطباً النبي محمد ﷺ: ﴿ فَذَلِكَ فَادَعُ^ط وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ^ط وَلَا تَتَّبِعْ^ط أَهْوَاءَهُمْ^ط وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ^ط اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ^ط لَنَا أَعْمَلُنَا^ط وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ^ط لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ^ط اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا^ط وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾^(٢)، ويقول النبي محمد ﷺ مصوراً هذا المعنى أبدع تصوير: " مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين"^(٣).

وسلك الإسلام إلى هذه الوحدة مسلماً عجبياً، فالمسلم يجب عليه أن يؤمن بكل نبي ويصدق بكل كتاب نزل، ويحترم كل شريعة مضت، ويثنى بالخير على كل أمة من المؤمنين خلت، والقرآن يفترض ذلك ويعلنه ويأمر به النبي وأصحابه: ﴿ قُولُوا ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾^(٤)، ثم يقف على ذلك بأن هذه هي سبيل الوحدة، وأن أهل الأديان الأخرى إذا آمنوا كهذا الإيمان فقد اهتدوا إليها، وإن لم يؤمنوا به فيسظلون في شقاق وخلاف وأن أمرهم بعد ذلك إلى الله، فيقول تعالى: ﴿ فَإِن ءَأْمَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَأْمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا^ط وَإِن تَوَلَّوْا^ط فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ^ط فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ^ج وَهُوَ السَّمِيعُ

(١) الشورى: ١٣ .

(٢) الشورى: ١٥ .

(٣) أخرجه الشيخان .

(٤) البقرة: ١٣٦ .

الْعَلِيمُ ﴿١﴾.

ويدعم هذه الوحدة بين المتدينين والمؤمنين على أساسين واضحين مسلمين لا يجادل فيهما إلا مكابر:

أولهما : اعتبار ملة إبراهيم عليه السلام أساساً للدين، وإبراهيم - ولا شك - هو مرجع الأنبياء الثلاثة الذين عرفت رسالاتهم وهم : موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

وثانيهما : تجريد الدين من أغراض البشر وأهوائهم، والارتفاع بنسبته إلى الله وحده، فتقرأ

فى سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ

أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۗ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۙ ﴾^(١)، إلى قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ۗ

وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۗ وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿٣٧٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا

وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا وَنَحْنُ لَهُ مَخْلُصُونَ ۙ ﴾^(٢)، ثم إلى قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ

قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۗ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۙ ﴾^(٤).

إن القرآن يثنى على الأنبياء جميعاً فموسى نبي كريم، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ۙ ﴾^(٥)،

وعيسى عليه السلام، قال تعالى : ﴿ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۙ ﴾^(٦)،

وقال تعالى : ﴿ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٥١﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۙ ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿ وَأُمُّهُ صِدِيقَةٌ ۙ ﴾^(٨)، وأكرمتها الملائكة، قال

(١) البقرة : ١٣٧ .

(٢) البقرة : ١٣٠ .

(٣) البقرة : ١٣٨-١٣٩ .

(٤) البقرة : ١٣٤ .

(٥) الأحزاب : ٦٩ .

(٦) النساء : ١٧١ .

(٧) آل عمران : ٤٥-٤٦ .

(٨) المائدة : ٧٥ .

تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰنِكَ وَطَهَّرَكِ وَاَصْطَفٰنِكَ عَلٰٓى نِسَآءِ الْعٰلَمِيْنَ ۝ ^(١) .

والتوراة كتاب كريم، قال تعالى : ﴿ اِنَّا اَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيْهَا هُدًى وَّنُوْرٌ ^(٢) ، وَاَلْاِنْجِيْلَ كَذٰلِكَ كِتٰبَ كَرِيْمٍ فِيْهِ هُدًى وَّنُوْرٌ وَّمَوْعِظَةٌ، قال تعالى : ﴿ وَاَتَيْنٰهُ الْاِنْجِيْلَ فِيْهِ هُدًى وَّنُوْرٌ وَّمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَّمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِيْنَ ^(٣) ، وهما والقرآن الكريم معهما مصابيح الهداية للناس، قال تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَاَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَاَلْاِنْجِيْلَ ۝ ^(٤) .

و بنو إسرائيل أمة موسى عليه السلام كريمة مفضلة ما استقامت و آمنت، قال تعالى : ﴿ يٰبَنِيْ اِسْرٰٓءِيْلَ اذْكُرُوْا نِعْمَتِي الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاِنِّيْ فَضَّلْتُكُمْ عَلٰٓى الْعٰلَمِيْنَ ^(٥) ، و أمة عيسى عليه السلام فاضلة طيبة ما أخلصت، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيْ قُلُوْبِ الَّذِيْنَ اَتَّبَعُوْهُ رٰحَةً وَّرَحْمَةً وَّرَهْبٰنِيَّةً ۝ ^(٦) .

والتعامل بين المسلمين وبين غيرهم من أهل العقائد والأديان إنما يقوم على أساس المصلحة الاجتماعية والخير الإنساني، قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهٰكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِيْنَ لَمْ يُقْتُلُوْكُمْ فِي الدِّيْنِ وَّلَمْ تُخْرِجُوْكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ اَنْ تَبْرُوْهُمْ وَّتُقْسَطُوْا اِلَيْهِمْ ؕ اِنَّ اللّٰهَ تَحِبُّ الْمُقْسَطِيْنَ ﴿٨﴾ اِنَّمَا يَنْهٰكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِيْنَ قَتَلُوْكُمْ فِي الدِّيْنِ وَاَخْرَجُوْكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَّظَنُّوْا عَلٰٓى اِخْرٰجِكُمْ اَنْ تَوَلَّوْهُمْ ؕ

(١) آل عمران : ٤٢ .

(٢) المائدة: ٤٤ .

(٣) المائدة: ٤٦ .

(٤) آل عمران : ٣ .

(٥) البقرة: ١٢٢ .

(٦) الحديد: ٢٧ .

وَمَنْ يَتَوَهَّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾.

والجدل يكون بالتى هى أحسن إلا للذين ظلموا ، وأساسه التذكير بروابط الرسالة ووحدة العقيدة الإيمانية، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۗ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢).

وبذلك قضى الإسلام على كل مواد الفرقة والخلاف والحقد والبغضاء والخصومة بين المؤمنين من أى دين كانوا ، ولفتهم جميعاً إلى وجوب التجمع حول " شريعة الإسلام " ونبذ كل ما من شأنه العداوة الخصام بين بنى الإنسان، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيئِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣).

فإن أبى الناس إلا أن يفترقوا ويحتكموا إلى أهوائهم باسم الدين فإن الإسلام وبنى الإسلام وشريعة الإسلام الإنسانية العامة منهم براء، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۗ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٠٦﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۗ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُم لَّا يُظْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ قُلْ إِن صَلَائِي وَنُفْسِي وَحَيَاتِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَّا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٤).

(١) الممتحنة ٨-٩.

(٢) العنكبوت: ٤٦.

(٣) البقرة: ٦٢.

(٤) الأنعام: ١٥٩-١٦٣.

أوجب الإسلام الإيمان بالأنبياء جميعاً، وعدم التفريق بينهم، ونجد ذلك فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ بِهِ سَمْعَهُ ۚ وَكُنْتُمْ لَهُمْ خُذْلُقًا ۚ فَلَمْ يَكْفُرْ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُكْفُرُونَ ﴾ (١)، وكذلك يؤكد الله هذا المعنى، ويزيده توثيقاً فيقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٢)، ولذا جعل الله هذه الأمة أولى بأبى الأنبياء إبراهيم ﷺ فقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)، وبين النبي ﷺ حب هذه الأمة لابن مريم ﷺ ، وشدة تقارب الأنبياء ، فعن أبى هريرة ﷺ قال : سمعت رسول ﷺ يقول : " أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد " (٤).

وقد غرس النبي ﷺ هذا المعنى الرائع فى نفوس أصحابه رضى الله عنهم، وعلم المسلمين ألا يفضلوه على أحد من الأنبياء، فـ " دعوة الإسلام إلى التفاعل مع باقى الديانات والحضارات تتبع من رؤيته للتعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالاتهم السماوية، فعقيدة المسلم لا تكتمل إلا إذا آمن بالرسول جميعاً - كما سبق - ، بيد أنه لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنسانى الذى جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان فى أى كيان من الكيانات التى لا تتفق مع جوهر هذا الدين، فهذا التسامح لا يلغى الفارق والاختلاف، ولكنه يؤسس للعلاقات الإنسانية التى يريد الإسلام أن تسود حياة الناس ، فالتأكيد على الخصوصيات

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) النساء : ١٥٠ ، ١٥١.

(٣) آل عمران : ٦٨.

(٤) البخارى : ١٢٧٠/٣ .

العقائدية والحضارية والثقافية لا سبيل إلى إغائه، ولكن الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التفاعل الحضارى بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينها" (١).

وها هي " كارين أرمسترونج " تقول عن هذا المشترك بين المسلمين وأهل الكتاب: " والواقع أن الإسلام والغرب يشتركان في نفس المأثورات ، وقد عرف المسلمون ذلك منذ زمن محمد ﷺ ، غير أن الغرب غير قادر على تقبل تلك الحقيقة " (٢).

ثانياً – تبين الحقوق والواجبات ومظاهر العبادات

المساواة العامة هي شعار الإسلام في الحقوق والواجبات ومظاهر العبادات، فالجنس الإنساني مكرم كله ومفضل على كثير من المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٣).

والناس جميعاً مخاطبون بهذه الدعوة الإسلامية ، وكثيراً ما يستفتح الخطاب في القرآن الكريم بيا أيها الناس إشارة إلى عموم هذه الرسالة وتسويتها بين الناس في الحقوق والواجبات، والحقوق الروحية، فضلاً عن أن الحقوق المدنية والسياسية الفردية والاجتماعية والاقتصادية مقررة للجميع على السواء، فما من شعب إلا بعث إليه رسول ، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٤)، ومظاهر العبادات وطرق أدائها مشتركة بين الجميع يؤدونها على قدم المساواة، فهم في الصلاة كالبنيان المرصوص، وهم في الحج قلب واحد يفدون من كل فج عميق، وهم في الجهاد صف لا يتخلف عنه إلا أعرج أو مريض أو أعمى أو معذور، وهم في كل معنى من هذه المعاني كأسنان المشط لا سيد ولا مسود، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٥)، وقل مثل ذلك في جميع الحقوق والواجبات والفرائض والعبادات التي جاء بها هذا الإسلام.

(١) الإسلام والآخر ٤١/١ .

(٢) سيرة النبي محمد: ٣٩٢ .

(٣) الإسراء: ٧٠.

(٤) فاطر: ٢٤.

(٥) الحجرات: ١٠.

ثالثاً: تقرير معانى الإنسانية وحسن الخلق

الحب والإيثار والإحسان :

لقد دعم الإسلام هذه المعانى النظرية والمراسيم العملية ببيت أفضل المشاعر الإنسانية فى النفوس من حب الخير للناس جميعاً والترغيب فى الإيثار ولو مع الحاجة، قال تعالى : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١)، والإحسان فى كل شىء ، قال تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾^(٤).

بيان شيوع هذه الإنسانية عملياً فى المجتمع الإسلامى :

إن التاريخ ليحدثنا أن المجتمع الإسلامى سعيد بتحقيق هذه المعانى فى كل عصر من العصور التى ازدهرت فيها دعوة الإسلام وطبقها المؤمنون فيها تطبيقاً صحيحاً، فى عهد النبوة كان سلمان الفارسى إلى جانب صهيب الرومى إلى جوار بلال الحبشى ومعهم فى نسق واحد أبو بكر القرشى تضمهم جميعاً أخوة الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾^(٥)، ولم تعرف التعصبات الجنسية إلا يوم ضعف شعور المسلمين بسلطان التوجيه الإسلامى الصحيح ، واجتاحتهم شياطين التقليد فانحرفوا عن هذا الصراط المستقيم.

ولنسمع إلى عبارات الحب التى لهج بها الفيلسوف "جورج برناردشو" وهو يتأمل الإسلام حق التأمل ، حيث يقول: " الإسلام هو الدين الذى نجد فيه حسنات الأديان كلها، ولا نجد فى الأديان حسناته! ولقد كان الإسلام موضع تقديرى السامى دائماً؛ لأنه الدين الوحيد الذى له ملكة هضم

(١) الحشر: ٩.

(٢) البقرة: ١٩٥.

(٣) الكهف: ٣٠.

(٤) النحل: ٩٠.

(٥) آل عمران: ١٠٣.

أطوار الحياة المختلفة، والذي يملك القدرة على جذب القلوب عبر العصور، وقد برهن الإسلام من ساعته الأولى على أنه دين الأجناس جميعاً، إذ ضم سلمان الفارسي، وبلالاً الحبشي، وصهيباً الرومي؛ فانصهر الجميع في بوتقة واحدة " (١).

- ثقافة التسامح في الحضارة الإسلامية :

يروى المحدثون في أمهات كتب الحديث مئات النصوص البديعة في حسن الخلق، والتعامل الحسن مع الآخر، سواء أكان مسلماً أم كافراً ما دام غير معتدٍ، مما يبين - بوضوح - انتشار ثقافة التسامح في المجتمع الإسلامي على المستوى العام، وعلى مستوى النخب الفقهية والحديثية الذين يشكلون مركز القيادة العلمية الشرعية، ولناخذ مثلاً على ذلك من بعض العناوين التي توجد في كتاب الأدب من صحيح البخاري: من أحق الناس بحسن الصحبة ، صلة الوالد المشترك، صلة الأخ المشترك ، فضل صلة الرحم، رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، فضل من يعود يتيماً، الساعي على الأرملة ، رحمة الناس والبهائم، والوصاة بالجار، كل معروف صدقة، طيب الكلام ، حسن الخلق والسخاء وما يكرهه من التمداح، ما ينهى عن التحاسد والتدابير، الكبر، من تجمل للوفود، الإخاء والحلف، التبسم والضحك ، الصبر في الأذى، من لم يواجه الناس في العتاب، الحذر من الغضب، يسروا لا تعسروا، الانبساط إلى الناس والمداراة لهم .

ومعظم كتب التدريب السلوكي، والبرمجة العصبية ترجع إلى ذلك في أصل أفكارها، لكن بأسلوب عصري يلبس ثوباً جذاباً يتناسب مع اللغة المتعارف عليها في أوساطنا. وأفرد موضوع الآداب التي تدل على التسامح والتعايش بالتأليف المستقل، ومن نماذج ذلك كتاب الأدب لابن أبي شيبة، وكتاب الأدب المفرد للبخاري، وابن أبي الدنيا في مجموعته الأخلاقية البديعة، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وإطلالة على معجم كتب الأخلاق والبر والتسامح في الإسلام ستدهش الناظرين (٢).

- الرحمة والحكمة مع المسلم وغير المسلم:

إن كل ما سبق يدلُّ على حسن الخلق مع المسلم والكافر، بل مع الجمادات والنباتات، وقد وصف الله تعالى النبي ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٣)، "والخلق العظيم أرقى منازل الكمال في

(١) ينظر : تعليقات كتبها د/ بسام العطاوى على كتاب " (استمتع بحياتك)، منشور في موقع ملتقى أهل الحديث .

(٢) أضواء البيان ٢٤٦/٨ .

(٣) القلم : ٤ .

عظماء الرجال" (١)، وقد كرر النبي ﷺ وصف نفسه بمقتضى ذلك، وردَّ على من طلب منه الدعاء على المعتدين من الكفار، فعن أبي هريرة ؓ قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال: " إني لم أبعث لعناً، وإنما بعثت رحمة" (٢)، وقال: " إن الله جعلني عبداً كريماً، ولم يجعلني جباراً عنيداً" (٣)، وحثَّ ﷺ أشد الحث على الرحمة، ومن ذلك قوله ﷺ: " لا تنزع الرحمة إلا من شقى" (٤)، وقوله ﷺ: " خاب عبد وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر" (٥)، وما زال أهل العلم يجعلون أولى دراسات طلبتهم قول النبي ﷺ: "الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" (٦).

ونشرَ صلى الله عليه وآله وسلم خلقَ الرحمة ففاح عبيراً في الأرجاء، وصارت النفوس التي يرببها في غاية الجمال ورهافة الحس، فعن أنس بن مالك ؓ: جاءت امرأة إلى عائشة - رضی الله عنها - فأعطتها عائشة ثلاث تمرات، فأعطت كل صبي لها ثمرة، وأمسكت لنفسها ثمرة، فأكل الصبيان التمرتين، ونظراً إلى أمهما، فعمدت إلى التمرة فشقتها، فأعطت كل صبي نصف ثمرة، فجاء النبي ﷺ فأخبرته عائشة، فقال: " وما يُعجبك من ذلك؟ لقد رحمها الله برحمتها صبيها" (٧).

— الرحمة والشدة في قوله تعالى: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٨). كيف نجم بين

ما سبق وبين هذه الآية في سورة الفتح؟.

والجواب: الحكمة وضع كل شيء في موضعه: فيوصف المؤمنون بالشدة في الموضع المناسب، كالحرب المباشرة عندما يبغى الباغون ويعتدى المعتدون، غير أن أهم تطبيق للقرآن الكريم كان التطبيق النبوي، ونجد أن السلوك العام للنبي ﷺ هو الرفق، والصبر، والعفو مع غير المسلمين، حتى كان ذلك سبباً في هداية أشد أعدائه، إلا أن تنتهك حرمة الله كما قالت عائشة - رضی الله عنها - أنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً،

(١) أضواء البيان: ٢٤٦/٨ .

(٢) مسلم ٢٠٠٦/٤ .

(٣) أبو داود ٣٧٦/٢، وصححه الألباني، ورواه ابن ماجة ١٥٩/٢، وصححه البوصيري .

(٤) أبو داود ٧٠٣/٢، أحمد ٣٠١/٢، وحسنه الألباني والأرنؤوط .

(٥) تاريخ دمشق ٥٤/٢١، وصححه الألباني في الصحيحة ٨٨١/١ .

(٦) أبو داود ٧٠٣/٢، وصححه الألباني، أحمد ١٠٦/٢، وصححه الأرنؤوط لغيره .

(٧) الحاكم ١٩٦/٤، وصححه ووافقه الذهبي، الأدب المفرد ٥٤/١، وصححه الألباني .

(٨) الفتح: ٢٩ .

فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها^(١). فيستفاد من هذا أن الحكمة هي الخلق الأقوم؛ ولذا قال الشنقيطي: "ويفهم من هذه الآيات أن المؤمن يجب عليه أن لا يلين إلا في الوقت المناسب للين، وألا يشتد إلا في الوقت المناسب للشدة؛ لأن اللين في محل الشدة ضعف، وخور، والشدة في محل اللين حمق، وخرق، وقد قال أبو الطيب المتنى:

إذا قيل حلمٌ قل: فللحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جهل^(٢).

وقال ابن عاشور في آية سورة الفتح: "وفيه إيحاء إلى أن صفاتهم تسيرها آراؤهم الحصيفة، فليسوا مندفعين إلى فعل ما إلا عن بصيرة، وليسوا ممن تتبعث أخلاقهم عن سجية واحدة بأن يكون لينا في كل حال، وهذا هو معنى الخلق الأقوم، وهو الذي يكون في كل حال بما يلائم ذلك الحال، ثم أنشد:

حليم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب^(٣).

وأعظم مثال تتناقله الأجيال عن الرفق والصبر ما فعله رسول الله ﷺ مع المشركين في فتح مكة، حيث أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال: "ما تقولون؟ وما تظنون؟" قالوا: نقول: ابن أخ، وابن عم، حليم رحيم، وقالوا ذلك ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ أقول كما قال يوسف: ﴿لَا تَثْرِبَ

عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٤)، فخرجوا كأنما نشروا من القبور، فدخلوا في الإسلام^(٥). وفي رواية: قال لهم حين اجتمعوا في المسجد: "ما ترون أنى صانع بكم؟" قالوا: خير!؛ أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"^(٦).

- بيان أن شريعته ﷺ شريعة التيسير، ووضع الآصار والأغلال:

تتجلى الرحمة في شريعته ﷺ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ

(١) البخارى ٢٣٠/٤ .

(٢) أضواء البيان ٤١٦/١، وبيت الشعر هكذا ذكره الشنقيطي رحمه الله، والمشهور فيه: إذا قيل رفقاً.. انظر: شرح ديوان المتنبى للواحدى ٨١/١ .

(٣) التحرير والتنوير ١٣٦/٥، والبيت المذكور ينسب إلى كعب بن سعد الغنوى. انظر: الحلم لابن أبى الدنيا، ص ٥٩، حيث ساقه بإسناده إليه، وذكره النويرى في نهاية الأدب في فنون الأرب ١٣١/٧ .

(٤) يوسف: ٩٢ .

(٥) سنن البيهقى الكبرى ١١٨/٩، وهذا الحديث بروايته وإن ضعفه بعض أهل العلم إلا أن أهل السير قد انفقوا على حدوث ذلك، وما ذكر من مؤكدات بعدهما يبين ذلك .

(٦) معرفة السنن والآثار للبيهقى ٦١/٧ .

الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ ﴿^(١)﴾، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا^٢ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ^٣
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا^٤ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِنَا^٥ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ ^(٢)، وجعل التيسير والتخفيف سمة الشريعة
المعتادة كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ^(٣)، وقال تعالى:
﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ^٤ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا
﴿٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ^٥ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ ^(٤)، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَجْتَبَكُمْ وَمَا
جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ^(٥).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يسرُوا ولا تعسروا، وبشروا" - وفي لفظ:
وسكنوا- "ولا تنفروا" ^(٦)، و(سكنوا) من التسكين، والمراد: إدخال الطمأنينة والهدوء على النفس،
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الدين يسر، ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا
وقاربوا، وأبشروا..." ^(٧)، ومعنى (يشاد الدين) يكلف نفسه من العبادة فوق طاقته. والمشادة:
المغالبة، (إلا غلبه) أى: رده إلى اليسر والاعتدال، (فسددوا): الزموا السداد، وهو التوسط فى
الأعمال. (قاربوا): اقتربوا من فعل الأكمل إن لم تستطيعوه.

(١) الأعراف: ١٥٧ .

(٢) البقرة: ٢٨٦ .

(٣) البقرة: ١٨٥ .

(٤) النساء: ٢٦-٢٨ .

(٥) الحج: ٧٨ .

(٦) البخارى ٣٨/١، واللفظ الآخر انظر: ٢٢٦٩/٥ .

(٧) البخارى ٢٣/١ .

وهذا النظام الإسلامي الرائع أخذ بلب عدد كبير ممن درس الإسلام من المستشرقين، ومنهم جوستاف لوبون الذي قال: "الإسلام من أكثر الأديان ملاءمة لاكتشافات العلم، ومن أعظمها تهذيباً للنفوس، وحملاً على العدل، والإحسان، والتسامح" (١).

- القوانين التي وضعها النبي ﷺ لحقوق الحيوان :

لقد خلق الحيوان لأجل الإنسان كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (٢)، وقال: ﴿ وَاللَّاتِعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٣) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٤﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴿٥﴾، ولكن الشريعة وضعت قوانين لحماية حقوق الحيوان قبل جمعيات حقوق الحيوان بأكثر من ألف وأربعمائة سنة، فعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: "عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً، فدخلت فيها النار". فقال: "لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها، ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض" (٤).

وأذنت الشريعة للناس في الانتفاع بما يُنتفع به من الحيوان، ولم تأذن في غير ذلك؛ ولذلك كره صيد اللهو، وحرّم ذبح الحيوان لغير أكله، وعدّ فقهاؤنا سباق الخيل رخصة للحاجة، وحرّموا ما اعتادت عليه بعض الأمم مما هو تعذيب للحيوان كمصارعة الثيران، أما المؤذى والمضر من الحيوان فقد أذن في قتله وطرده؛ حماية للناس من خطره .

ومن ذلك: حماية المخلوقات من الكلمات البذيئة: فعن سليم بن جابر الهجيمي قال: قال رسول الله ﷺ: " ولا تسين شيئاً " قال: فما سببت بعده دابة ولا إنساناً (٥).

الأجر في التلطف بالحيوان : فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان له به صدقة" (٦).

(١) قالوا عن الإسلام، ص ٢٣٦ .

(٢) البقرة: ٢٩ .

(٣) النحل: ٥-٧ .

(٤) البخارى ٨٣٤/٢ .

(٥) ابن حبان ٢٧٩/٢ .

(٦) البخارى ٨١٧/٢ .

سقى الكلب تغفر الذنب: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بيننا رجل يمشى فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي. فملاً خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب؛ فشكر الله له؛ فغفر له". قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: "في كل كبد رطبة أجر" ^(١) فشمّل بذلك جميع الكائنات. إنها ثقافة السلام والرحمة للعالمين ينشرها النبي صلى الله عليه وسلم على الخلق أجمعين: الجماد، والحيوان، والطير، والإنسان.

- عظمة السلام في القرآن الكريم:

السلام يحيط بهذا الدين وبأركانه -ابتداءً واختتاماً- بصورة فريدة، ولا يظهر أنه توجد ديانة، أو نظرية، أو مبدأ قد جمعت ذلك بهذه الصورة الرائعة، فقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم على أنحاء متعددة غير ما تقدم، ويمكن تلخيص جميع ذلك في الآتي:

الله عز وجل هو السلام، وفي القرآن الكريم: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ ^(٢) في الدنيا والآخرة، والله يدعو إلى (دار السلام)، والسلام هي الكلمة التي تقال للمعرضين والجاحدين والخصوم المجادلين، قال تعالى: ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ^(٣)، وهي كلمة الإسلام التي تقال للجاهلين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ^(٤)، وهي التي يدعى بها للصالحين، قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ ^(٥)، ويثنى بها على الأخيار المتقين، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ سَجَزُونَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا نَجِيَّةً وَسَلَامًا﴾ ^(٦)، وهي التي يوصف بها الناجون من الشرور والآفات والشقاء وكيد الأعداء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قِيلَ يَنْبُوْحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ

(١) البخارى ٨٣٣/٢ .

(٢) المائدة: ١٦ .

(٣) الزخرف: ٨٩ .

(٤) الفرقان: ٦٣ .

(٥) النمل: ٥٩ .

(٦) الفرقان: ٧٥ .

﴿ مَنَا وَبَرَكْتَ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٣)، وهى التى
ينادى بها أهل الجنة، ويوصفون بها عند دخولهم الجنة فيقال لهم: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينٍ ﴾^(٤)،
وهى تحية المسلمين فى الدنيا، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ
عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً ﴾^(٥)، وتحية المسلمين فى الآخرة، قال تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾^(٦)،
وتحية الملائكة لهم، قال تعالى: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۗ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا
صَبَرْتُمْ فَبِنِعْمِ عِقْبَىٰ الْوَالِدِ ﴾^(٧)، وتحية الله تعالى لهم منذ بدء انتقالهم إلى الآخرة، قال تعالى: ﴿
سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾^(٨).

وهذا يجعلنا نقول: إن ذكر السلام ليس خضوعاً للضغوطات العالمية؛ بل هو جزء من ذاتية
المنهج الذى يسير عليه المسلمون ونفخر بأن نربى عليه أنفسنا، وأبناءنا، ورجالنا، ونساءنا، وأمتنا،
وبه نخاطب العالم من حولنا، وبه نخاطب فئتين فى مجتمعنا:

الفئة الأولى: بعض الشباب الذين ظنوا السوء بعلماء الأمة، وأن شعار السلام لا يرفعه
إلا المنهزم: أيها الشباب؛ هذا كتاب الله أمامكم أبيض ناصع ينطق عليكم بالحق، فلماذا تتسبون ما
أراد الله أن ينبنى به حياتنا لغيره وتستكفون منه... ونعم! نحن نقول بأن هذا جزء من ديننا يجب أن
يصاحبه الجزء الآخر، وهو إعداد القوة العسكرية، والاقتصادية، والعلمية، والاجتماعية، وقوة
العقيدة والأخوة والوحدة والتعاقد، وهو الذى ذكره الله فى مواطن كثيرة كقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا

(١) هود: ٤٨ .

(٢) الواقعة: ٩١ .

(٣) الأنبياء: ٦٩ .

(٤) الحجر: ٤٦ .

(٥) النور: ٦١ .

(٦) إبراهيم: ٢٣ .

(٧) الرعد: ٢٣-٢٤ .

(٨) يس: ٥٨ .

لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ

لَا تظلمون ﴿١﴾. وإعداد القوة التي تقتضى التنمية فى سائر المجالات لنقف على قدم المساواة مع الأمم الأخرى، لننشر السلام من موقع القوة ، وليكون لنا قدم صدق راسخة فى حقل التقدم والازدهار، ولنصل إلى القمم كسائر الأمم، فيرى الناس بحق نور الكتاب المبين فى العالمين.

لكن لاحظوا -أيها الشباب- أن الله حين ذكر هذه الآية، ذكر بعدها فوراً قوله تعالى: ﴿وَإِنْ

جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢)، فإذا وجد عندنا قصور فى جانب إعداد القوة فلا يعنى إشاعة العنف باسم الدين، وإزهاق الأرواح باسم جهاد المسلمين على الآمنين من المسلمين ومن غير المسلمين (٣).

الفئة الثانية: الفئة التي استحلّت دماء المسلمين باسم مذهبى، أو طائفى: نذكرهم بالله؛ أين أنتم من تعاليم دينكم؟ أين أنتم من هذه الثقافة الرائعة التي جعلها الله رحمة للعالمين، ورفقاً بالناس أجمعين، ورفع لها شعار السلام .

- حرية الاختيار مع بيان التبعات المترتبة على هذا الاختيار:

وبذا يكون كل واحد من أصحاب الدين الحق والدين الباطل مسئولاً عن أفعال نفسه، وهذا يزيد المؤمنين ثباتاً على المنهج الحق، لا اعتداء على العقيدة الباطلة ، ما لم يصاحب الاعتقاد الباطل اعتداء يرد بمثله، وقد أكد الله هذا المعنى فى مواطن كثيرة كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾ صَبَّغَهُ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً ۗ وَخَنَّ لَهُ عِبِيدُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَخَنَّ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿٤﴾،

(١) الأنفال: ٦٠ .

(٢) الأنفال: ٦١ .

(٣) اضطر المؤلف هنا إلى التحول من الأسلوب العلمى إلى الأسلوب الخطابى للضرورة .

(٤) البقرة: ١٣٧-١٣٩ .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ۗ ﴾ (١)، وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ۝ ﴾ (٢) قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۗ ﴾ (٣)، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۗ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا آعَمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۗ ﴾ (٤)، وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ ۗ ﴾ (٦)، والآيات الواردة في هذا المعنى منها ما هو مكي كما في يونس وسبأ والشورى، ومنها ما هو مدني كما في البقرة وآل عمران، وكثرة الآيات الواردة في بيان هذا المعنى دالة على أصالته، وعدم استساغة الرأي الذي يذهب إلى نسخه.

إن المسلم ليس مكلفاً أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم إلى الله في يوم الحساب، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (٧) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۗ ﴾ (٨)، وقال يخاطب رسوله في شأن أهل الكتاب: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۗ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۗ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ۗ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۗ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ۗ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ۗ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ

(١) آل عمران: ٢٠ .

(٢) آل عمران: ٦٣-٦٤ .

(٣) يونس: ٤١ .

(٤) سبأ: ٢٥-٢٦ .

(٥) الحج: ٦٨-٦٩ .

الْمَصِيرُ ﴿١﴾.

- أسس التعايش الإنساني، والتواصل الإيجابي:

جاء الإسلام بالنور والتنوير، لا بالبغى والتدمير، كما قال ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس لما سأله عن سبب خروجهم: "إن الله ابتعثنا لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة" (٢).

- أمر الإسلام بالإحسان مع العدل :

نلاحظ بأن الله تعالى لم يذكر العدل وحده فقط هنا، بل ذكر معناه من أنواع الإحسان، والعدالة تقتضى الإنصاف، ولكن الإحسان يقتضى من صور التسامح والرفق والجمال الخلقى ما لا حد له كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣)، فهذه الآية كما قال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن للخير والشر (٤)، ولما نزلت قال عثمان بن مظعون: فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحبيت محمداً ﷺ؛ لأنها أجمع آية في القرآن للحث على المصالح كلها، والزجر عن المفسد بأسرها.

وبهذه الأخلاق فتح المسلمون القلوب قبل الدروب، ولنستمع إلى ابن الجلندي -ملك عمان- يقول: "إنه والله لقد دلني على هذا النبي الأُمى أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وإنه يَغْلِبُ فلا يبطر، ويُغْلَبُ فلا يضجر، وأنه يفى بالعهود، وينجز الموعد، وأشهد أنه نبي" (٥).

- السلام يؤدي إلى إيجاد عالم أفضل:

فهو يؤدي إلى التعاون على الخير (البر والتقوى) بين البشر، وهو أحد أسس البناء المجتمعي القائم على التسامح والتعايش وبناء السلم الاجتماعي الذي وضعه الله تعالى، سواء أكان تعاوناً مع

(١) الشورى: ١٥ .

(٢) تاريخ الطبرى ٤٠١/٢، البداية والنهاية ٣٩/٧ .

(٣) النحل: ٩٠ .

(٤) الحاكم ٣٨٨/٢، وصححه، ووافقه الذهبي .

(٥) أحمد ٣١٨/١، وقال الهيثمى فى المجمع ٤١٩/٦: "رواه أحمد والطبرانى، وشهره وثقه أحمد وجماعة، وفيه ضعف لا يضر، وبقيّة رجاله ثقات" .

المسلمين أم مع غير المسلمين، داخل المجتمع الإسلامى الخاص أو مع المجتمعات غير المسلمة ، كما قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ ﴾^(١)، ويدل على عموم هذه الآية، وشمول مجالات التعاون للمسلمين وغيرهم قول النبي ﷺ: في الحديبية: "والذى نفسى بيده لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها"^(٢)، ومثله قول النبي ﷺ فى حلف الفضول وهو حلف جاهلى، وورغبته فى الإجابة إليه لو كان فى عهده^(٣)، وهذا من قوانين العدل والإحسان فى الإسلام: فلا يتعدى الذنب إلى غيره ، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۗ ﴾^(٤).

- التحذير من الظلم:

حرم الله ظلم الآخر المسلم أو الكافر، وشدد على عدم جعل جريمة الكفر مانعة من العدل مع صاحبها - إذ هى جريمة فكرية عقديّة- حسابه عند ربه عليها، وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۗ ﴾^(٥)، فكما تشهدون لواليكم فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، ولو كان كافراً أو مبتدعاً، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتى به من الحق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق"^(٦)، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۗ ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۗ ﴾^(٨)، والله تعالى

(١) المائدة: ٢ .

(٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء ٣١٩/٢ ، البخارى ٩٧٤/٢ .

(٣) الأدب المفرد ١٩٩/١، قال الشيخ الألبانى: صحيح، ورواه ابن حبان ٢١٦/١٠، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٤) النجم: ٣٩ .

(٥) المائدة: ٨ .

(٦) تفسير السعدى ٢٢٤/١ .

(٧) الفرقان: ١٩ .

(٨) البقرة: ١٦٥ .

يريد الخير للعالمين، ولا يريد لهم الظلم، يقول تعالى: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١)، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ^ط وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا ﴾^(٢). إن كان مؤمناً أثابه بحسنه الرزق في الدنيا، والأجر في الآخرة، وإن كان كافراً أطعمه بها في الدنيا^(٣)، كما جاء عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها " ^(٤).

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الظلم، وجعل ظلم المسلم للمسلم ولغير المسلم من أهداف الخطط الشيطانية في أعمال العباد، فعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن إبليس يؤس أن تعبد الأصنام بأرض العرب، ولكنه سيرضى بدون ذلك منكم: بالمحقرات من أعمالكم، وهى الموبقات، فاتقوا المظالم ما استطعتم؛ فإن العبد يجى يوم القيامة وله من الحسنات ما يرى أنه ينجيه، فلا يزال عبد يقوم فيقول: يا رب إن فلاناً ظلمنى مظلمة. فيقال: امحوا من حسناته، حتى لا يبقى له حسنة " ^(٥).

- تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من ظلم أهل الذمة خاصة:

إذا أطلق مصطلح (أهل الذمة) فإنه يدل على شدة احترام حقوق أصحابه، والدفاع عنهم، وحمائتهم؛ ولذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ظلم الذميين أو المعاهدين خاصة وهم: من أعطوا حق الإقامة في بلاد المسلمين، أو من كان بين المسلمين وبين دولهم معاهدات تعاون وصدقة، أو كف أذى، وحذر من انتقاص حقوقهم على وجه الخصوص فقال: صلى الله عليه وسلم: " من ظلم معاهداً، أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة " ^(٦). ومن ذا يريد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم خصماً له يوم القيامة؟.

إن التعدى على الذمى والمعاهد جزاؤه الأخرى الآجل الحرمان من الجنة، فقد قال رسول

(١) آل عمران: ١٠٨ .

(٢) النساء: ٤٠ .

(٣) الوجيز للواحدى ١/٢٦٥ .

(٤) مسلم ٤/٢١٦٢ .

(٥) الحاكم ٢/٣٢ وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب ٢/٢٦٣ .

(٦) أبو داود ٢/١٨٧، وصححه الألبانى .

الله ﷺ : «ألا من قتل نفساً معاهدة، له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله؛ فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً» (١).

- إرساء منظومة العفو عن الآخر والإحسان إليه:

أرسى النبي ﷺ منظومة متكاملة للتسامح من خلال ثقافة العفو، وفي هذا تهييج لإنشاء لجان ومنظمات تفعل العفو في المجتمعات الإسلامية، فقد أمر الله تعالى النبي ﷺ وأمه بالصبر والعفو والصفح مهما لحقهم من الإيذاء من الآخرين مسلمين وكافرين، وبين لهم أن العفو أقرب إلى أخلاق المتقين في التعامل مع المسلمين كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢).

وفي التعامل مع المشركين كما في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٣)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿١٦﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حُظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۗ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٧).

وعن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - قال: " لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه، واعتذر

(١) الترمذی ٢٠/٤، وقال: حسن صحيح، وصححه الألبانی .

(٢) لقمان: ١٧ .

(٣) فصلت: ٣٤، ٣٥ .

(٤) ق: ٣٩ .

(٥) المزمّل: ١٠ .

(٦) آل عمران ١٨٦ .

(٧) أحمد ٤٠٣/٣، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، والحديث رواه مسلم ٢٠١٧/٤، وهذه رواية أحمد.

فى أذنى الأخرى لقبلت عذره ^(١)، وقال جعفر الصادق رحمه الله : " لأن أندم على العفو عشرين مرة أحب إلى من أن أندم على العقوبة مرة واحدة ^(٢). وقال الفضيل بن عياض رحمة : " إذا أتاك رجلٌ فقل : يا أخى، اعف عنه؛ فإنَّ العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبى العفو، ولكن أنتصر كما أمرنى الله عز وجل، فقل له : إن كنت تحسن أن تنتصر، وإلا فارجع إلى باب العفو، فإنه باب واسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار بقلب الأمور ^(٣).

إن حياة العالم تتحول عند تطبيق هذه المعانى إلى جنة معجلة ، أساسها التسامح، ونظامها التقارب، ومنهاجها التواد، ورسالتها إلى العالم التصافح والتغافر والتعاون على إيجاد مجتمع أفضل.

ومن أبرز الآيات التى تحدثت عن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ

لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(٤)، عن ابن عباس رضى الله عنهما: إنها نزلت فى عمر بن الخطاب، شتمه رجلٌ من المشركين بمكة قبل الهجرة ، فأراد أن يبطش به ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ^(٥)، وقد تكرر فى القرآن الكريم مثل هذا الأمر بالصفح عن المشركين، والعفو والإعراض عن أذاهم.

— وقد منع النبى ﷺ من القتال لعدم وجود اعتداء :

عن كعب بن مالك ؓ فى حديثه الطويل فى بيعة العقبة، وفيه: فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول متكلم، فقال: والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيفنا، قال : فقال رسول الله ﷺ: **لم أومر بذلك** ^(٦)، وفى الحديث ملامح متعددة فى موضوعنا، منها :
 أ — أن العباس عم النبى ﷺ لم يكن قد أسلم بعد فما نابذه، ولا باعده ، بل كان عوناً له.
 ب — أن قول النبى ﷺ: **" لم أومر بذلك "**. ومعناه : لم أبعث بقتل أحد، أو لم يؤذن لى بذلك لمجرد كفرهم بى، حتى أنزل الله عليه الإذن بقتال المعتدين الذين يقاتلون المسلمين، قال

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ٤٨٦/٢، الآداب الشرعية ٣١٩/١.

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس ٣٧٠/١.

(٣) تفسير ابن أبى حاتم ٣٢٨٠/١، ونقله عن ابن كثير فى تفسير ١٤٥/٤، حلية الأولياء ١٢/٨ .

(٤) الجائية : ١٤ .

(٥) تفسير القرطبي ١٥٦/١٦.

(٦) أخرجه أحمد ٤٦٠/٣، وقال الأرنؤوط : " حديث قوى ، وهذا إسناد حسن".

تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾^(١) ، وبين سبب الإذن ومداه بصورة دقيقة بقوله : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(٢) ، فأذن له بقتال المقاتل ، وأمره بذلك ، ونهاه عن الاعتداء ، إلا أن يعتدى عليه — لا أن يقاتل بمجرد كفره — فقال تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٣) .

— التعاون مع المسالمين من غير المسلمين :

تسهم المظاهر العامة للبر والإقسط في إيجاد عالم أفضل ، وتكون جزءاً من حل المشكلات العالمية التي تزداد وطأتها، وتحقق التعاون بين المسلمين وغيرهم مما يكون داخلاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ ، تعليل للنهي الذي في قوله : ﴿ وَلَا تَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ ﴾ ، يعني أن واجبكم أن تتعاونوا بينكم على فعل البر والتقوى، وإذا كان هذا واجبهم فيما بينهم كان الشأن أن يُعينوا على البرِّ والتقوى ؛ لأن التعاون عليها يكسب محبة تحصيلها، فيصير تحصيلها رغبة لهم، فلا جرم أن يعينوا عليها كل ساع إليها، والخطاب وإن كان للمؤمنين إلا أنه يطلب منهم التفاعل مع جميع العاملين في البر والتقوى، وإزالة الإثم والعدوان .

(١) الحج : ٣٩ .

(٢) البقرة : ١٩٠ .

(٣) البقرة : ١٩٤ .

(٤) المائدة : ٢ .

صور مشرقة عامة في السلام مع الآخرين

اقتراض النبي ﷺ من غير المسلم :

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعاً من شعير^(١) ، وهذه حادثة عجيبة؛ فإن أغنياء المسلمين من الصحابة ﷺ متوافرون، ومنهم عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهما، وكان النبي ﷺ يمكن أن يستعير أو يقترض من أى واحد منهم، ولكنه ﷺ أراد أن يضرب لنا مثلاً على التسامح العجيب، والتعايش الإنسانى الرفيع مع غير المسلمين، وانتقل هذا التلقى والتواصل ليكون فى حياة أصحابه رضى الله عنهم.

عيادة المريض:

فعن أنس ﷺ قال : كان غلام يهودى يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له : " أسلم ". فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم. فخرج النبي ﷺ وهو يقول : " الحمد لله الذى أنقذه من النار " ^(٢).

وقال الفقهاء: " وأن يدعو له بالشفاء أى : ولو كان كافراً أو فاسقاً " ^(٣).

الوصية بالتعامل الحسن مع غير المسلمين:

حال التغلب عليهم وفتح بلدانهم، وإطلاق أجمل الأسماء وأقواها لحمايتهم، ومعرفة حقوقهم: فقد أوصى النبي ﷺ بالقبط خيراً، فقال فيما رواه أبو ذر: " إنكم ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمّةً ورحماً، أو قال: ذمّةً وصهراً ^(٤). وقد أطلق علماؤنا على غير المسلمين من المقيمين بين أظهرها إقامة دائمة أو مؤقتة أجمل الأسماء وأقواها، فأطلقوا عليهم مصطلح : أهل الذمّة، والذمّة هى كما قال النووى: " الحرمة والحق .. وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم. وفيه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ ^(٥).

(١) رواه البخارى ١٠٦٨/٣.

(٢) رواه البخارى ٤٥٥/١، وهذه رواية ابن حبان.

(٣) تحفة المحتاج فى شرح المنهاج ٩١/٣.

(٤) رواه مسلم ١٩٧٠/٤.

(٥) شرح النووى على مسلم ٩٧/١٦.

التعامل المالى :

ومن ذلك ما جاء عن يوسف عليه السلام حين اختلط فى السجن بسجينين غير مسلمين، ونصح لهما حتى قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ (١)، وعرض نفسه على فرعون مصر كما ذكر الله تعالى ذلك حكاية عن يوسف عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۗ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢)، وتعدى الأمر فى التعايش المتبادل إلى التجارة مع المحاربين فقد بوب الإمام البخارى: باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب، ثم روى حديث عبد الرحمن بن أبى بكر - رضى الله عنهما - قال : كنا مع النبى ﷺ ثم جاء رجل مشرك بغنم يسوقها، فقال النبى ﷺ : بيعاً أم عطية ؟ أو قال : أم هبة ؟ قال : لا، بل بيع ، فاشتري منه شاة (٣).

التزوج من أهل الكتاب:

اختص الإسلام أهل الكتاب بإجازة التزوج منهم، والزواج يقتضى وجود المودة والرحمة والحب الطبيعى بين الزوجين مع اختلاف الدينين كما قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۚ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ۚ وَالْحَصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْحَصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٤).

قبول الهدايا :

كان النبى ﷺ والصحابة رضى الله عنهم يقبلون من غير المسلمين، ولو كانوا من أهل المحاربين، فلما فتحت خيبر أهديت للنبى ﷺ شاة فيها سم ، فقال النبى ﷺ ، " أجمعوا إلى من كان ها هنا من يهود . فجمعوا له فقال : " إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقى عنه ؟ " . فقالوا :

(١) يوسف : ٣٧ .

(٢) يوسف : ٥٥ .

(٣) الموالة والمعادة فى الشريعة الإسلامية ٢/٨٧٥.

(٤) المائدة : ٥ .

نعم يا أبا القاسم . قال: " هل جعلتم في هذه الشاة سمًا ؟ " ، قالوا، نعم. قال " ما حملكم على ذلك (١) قالوا : أردنا إن كنت كاذبًا نستريح، وإن كنت نبيًّا لم يضرّك (٢). والمرأة التي وضعت له السم هي زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم.

وقال البيهقي : " قال الشافعي في القديم قد أهدى أبو سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ آدمًا فقبل منه، وأهدى إليه صاحب الإسكندرية مارية أم إبراهيم فقبلها، وغيرهما قد أهدى إليه ، ولم يجعل ذلك بين المسلمين (٣).

وبناء على ذلك قرر الفقهاء قبول الهدايا من الكفار بجميع أصنافهم حتى أهل الحرب (٤). وقال في المغنى: " يجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب؛ لأن النبي ﷺ قبل هدية صاحب مصر (٥)، ولما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية استعار ثوبًا من نصراني فلبسه حتى خاطوا له قميصه، وتوضأ من جرة نصرانية.

قبول الحق والصواب :

نص الصحابة رضي الله عنهم على قبول الحق والصواب ، ولو كان من غير مسلم، وذلك تبعًا للمصطفى ﷺ في ذلك ، ومما يدل على ذلك ما ورد عن يزيد بن عميرة أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان لا يجلس مجلسًا للذكر حين يجلس إلا قال : " الله حكم قسط . هلم المرتابون " ، وقال يوماً : وأحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قلت : ما يدريني - رحمك الله - أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق ؟ قال : " بلى ، اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها ما هذه، ولا يتنكب ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع، وتلق الحق إذا سمعته، فإن على الحق نورًا" (٦) .

دخول الكنائس :

كان الصحابة رضي الله عنهم يأكلون مع غير المسلمين، ويدخلون كنائسهم، ويتجاذبون الحديث معهم، فقد روى ابن عائد في فتوح الشام أن النصارى صنعوا لعمر رضي الله عنه حين قدم الشام طعامًا فدعوه فقال : أين هو ؟ قالوا : في الكنيسة فأبى أن يذهب، وقال لعلى : " امض بالناس فليتنغوا " ، فذهب على رضي الله عنه بالناس، فدخل

(١) رواه البخارى ٧٧١/٢ .

(٢) رواه البخارى ١١٥٦/٣ .

(٣) سنن البيهقي الكبرى ٢١٥/٩ .

(٤) الدرارى المضية، ص ٣٤٦ .

(٥) المغنى ٥٥٦/١٠ .

(٦) أبو داود ٦١٢/٢، وصححه الألبانى موقوفًا.

الكنيسة وتغدى والمسلمون، وجعل على ينظر إلى الصور، وقال: ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل؟. وهذا اتفاق منهم على إباحة دخولها وفيها الصورة ، وأن دخول الكنائس والبيع غير محرم (١)، ولعل سبب عدم إجابة عمر ﷺ حرصه على حقوق أهل الكتاب، لئلا يدعى المسلمون حقاً لهم في كنائس الكنائس بعد عمر كما ورد عنه ذلك حين امتنع عن الصلاة في الكنيسة.

الإهداء للمشارك :

عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - : أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى حلة سبراء عند باب المسجد فقال : يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك . فقال رسول الله ﷺ " إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة " ثم جاءت رسول الله ﷺ منها حلل، فأعطى عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما- منها حلة ، فقال عمر : يا رسول الله كسوتيتها وقد قلت في حلة عطارد ما قلت ؟ قال رسول الله : " إنى لم أكسكها لتلبسها" . فكساها عمر بن الخطاب ﷺ أبا بمكة مشركاً (٢)، وفي رواية : أبا له من أمه (٣). وهذا الإهداء بعد فرض القتال على المسلمين؛ فلم يمنع من البر والإحسان لمن لم يقاتل أو يعتدى، ولو كان مشركاً .

مراعاة عاداتهم:

كان الصحابة رضى الله عنهم لا يnehرون غير المسلمين على بعض ما جرت عليه عاداتهم مما ليس من كبير المنكرات، فعن عبد الله بن قيس الهمداني قال : كنت فيمن تلقى عمر بن الخطاب ﷺ مقدمه الشام والجابية، نريد قسم ما فتحنا من الأرضين. قال : فتلقيناه خلف أذرع مع أبي عبيدة بن الجراح . قال : فبينما هو يساير أبا عبيدة إذ لقيه المقلسون - والتقليس هو الضرب بالدف بين يدي الأمراء- فأنكرهم عمر ، وأمر بردهم، فقال أبو عبيدة : إنها بيعة الأعاجم؛ فإنك إن تمنعهم من هذا يرون أن في نفسك نقضاً لعهدهم، فقال عمر ﷺ : دعوهم ، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة (٤).

وصية الصديق ﷺ بهم :

ولنسمع إلى وصية أبي بكر ﷺ لما بعث الجنود نحو الشام ، وأمر عليهم يزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة ، ثم جعل يوصيهم بوصية مليئة باللمسات الإنسانية ، وفقرات كان يمكن أن تشكل أحد بنود الدساتير العالمية السامية فقال: أوصيكم بتقوى الله ، اغزوا في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، فإن الله ناصر دينه، ولا تغلوا ، ولا تغدروا، ولا تجبنوا، ولا تفسدوا

(١) المغنى ١١٣/٨ .

(٢) رواه البخارى ٣٠٢/١ .

(٣) سنن البيهقي الكبرى ٤٢٢/٢ .

(٤) تاريخ دمشق ١١٦/٣٢ .

فى الارض ، ولا تعصوا ما تؤمرون ، ولا تغرقن نخلاً، ولا تحرقنها، ولا تعقروا بهيمة ، ولا شجرة
تثمر، ولا تهدموا بيعة، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم فى
الصوامع، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له^(١).

وصية عمر بن الخطاب ؓ بهم :

وها هو عمر بن الخطاب ؓ خليفة المسلمين يتعرض لغدرٍ شنيع، وجريمة بشعة من أحد
الذميين وهو أبو لؤلؤة المجوسى، وعلى الرغم من ذلك لم ينس أن يوصى الخليفة من بعده
بالمهاجرين الأولين خيرًا: أن يعرف لهم حقوقهم، وأن يحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا
الذين تبوعوا الدار والإيمان؛ أن يقبل من محسنهم ، ويعفو عن مسيئهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة
رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم^(٢).

تقول " مونىكا نرفسكن " تعليقًا على مثل ذلك : " لم يتبين لى الفرق الشاسع بين تعاليم الإسلام
وبين كثير من العادات الشرقية إلا عندما دخلت عالم الإسلام الروحى عن طريق القرآن والكتابات
الإسلامية، فشعرت ببطء كيف يجذبنى الإسلام، وكانت تعاليمه تخاطب عقلى وفطرتى، وكان من أهم
ما شدنى إلى النظام الاجتماعى المثالى فى الإسلام ، تساوى جميع الأجناس، والتسامح الذى لا حد له،
والحرية التامة فى جميع المجالات الدنيوية والروحىة، وكذلك الاعتراف بالحياة الدنيا من غير مبالغة،
والاجتهاد فى طلب العلم الذى يعتبر فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأخيرًا - وليس آخرًا - أعجبت
بالعلاقة المباشرة بين العبد وربّه"^(٣).

(١) سنن البيهقى الكبرى ٨٥/٩.

(٢) رواه البخارى ٤٦٩/١.

(٣) قالوا عن الإسلام ص ١٦٢، والقائل هو " فاطمة نرفسكن " وهى فتاة من تشيكوسلوفاكيا كانت تحمل اسم
"مونىكا". ولدت عام ١٩٤٣م، تخصصت فى الرسم الهندسى . واتصلت بعدد من المسلمين الألمان، وبعد أن اقتنعت
بالإسلام دينًا، أعلنت انتماءها إليه عام ١٩٦٣ م .

الدعاء لغير المسلمين

مما يدل على عظيم التسامح، وجمال الرحمة الحقّة دعاء المسلمين لهم، خاصة بالهداية وصلاح البال، وقد يوب البخارى فى الأدب المفرد: باب كيف يدعو للذمى، وذكر فيه ثلاثة أحاديث، ومنها:

حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: لو قال لى فرعون: بارك الله فيك، قلت: وفيك، وفرعون قد مات (١).

وحديث أبى موسى رضي الله عنه قال كان اليهود يتعاطسون عند النبى صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول لهم: " يرحمكم الله " فكان يقول: " يهديكم الله ويصلح بالكم " (٢).

دعاء الأنبياء بالهداية للمشركين:

حكى النبى صلى الله عليه وسلم دعاء الأنبياء لأقوامهم من الكفار، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حنين بالجعرانة ازدحموا عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن عبدًا من عباد الله بعثه الله إلى قوم فكذبوه وشجوه، فكان يمسح الدم عن جبهته ويقول: اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون" (٣) ودعا صلى الله عليه وسلم لأم أبى هريرة فى حديث أبى هريرة الطويل، وفيه قال: " كنت أدعو أمى إلى الإسلام وهى مشركة، فدعوها يوماً فأسمعتنى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى، قلت: يا رسول الله إنى كنت أدعو أمى إلى الإسلام فتأبى علىّ ، فدعوها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره، فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم اهد أم أبى هريرة " فخرجت مستبشرة بدعوة نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمى خشف قدمى فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال : فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وأنا أبكى من الفرح (٤).

وبوّب البخارى: باب الدعاء للمشركين ثم ذكر حديث أبى هريرة رضي الله عنه قدم الطفيل بن عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت؛ فادع الله عليها. فظن الناس أنه

(١) الأدب المفرد بالتعليقات ١/ ٢٦٠ وصححه الألبانى .

(٢) الأدب المفرد بالتعليقات ١/ ٢٦٠، الترمذى ٨٢/٥ ، وقال: حسن صحيح، وصححه الألبانى.

(٣) الأدب المفرد ٢٦٦، قال الشيخ الألبانى : حسن، وأصل الحديث عند البخارى ٣/ ١٢٨٢.

(٤) مسلم ٤/ ١٩٣٨ .

يدعو عليهم، فقال: " اللهم اهد دوساً وأت بهم" (١).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر قبل العراق والشام واليمن، لا أدري بأيهم بدأ فقال: " اللهم أقبل بقلوبهم إلى طاعتك، وحط من ورائهم" (٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف؛ فادع الله عليهم، قال: " اللهم اهد ثقيفاً" (٣).

ويبدى لورافيشيا فاغليرى إعجابه بالنبي صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك فيقول: " كان محمد صلى الله عليه وسلم المتمسك دائماً بالمبادئ الإلهية شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة، لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين، لقد عرف جيداً أن الله لا بد أن يدخل آخر الأمر إلى القلب البشري" (٤).

من التاريخ الإسلامي

المسلمون ونصارى حمص:

يصور البلاذرى عظمة هذا التسامح الإسلامي مع الآخر فيقول: " أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك، ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: شغلنا عن نصررتكم والدفع عنكم، فأنتم على أمركم. فقال أهل حمص: لولايتكم وعدوكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم. ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد، فأغلقوا الأبواب وحرسوها" (٥).

عمر رضي الله عنه يحرص على إبقاء أملاك النصارى فى أيديهم:

لما طلب نصارى بيت المقدس الصلح مع المسلمين على أن يكون أمانهم من عمر نفسه حضر عندهم وكتب أمانهم، ونصه: " بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب لأهل إيلياء: إنهم

(١) البخارى ٥/٢٣٤٩.

(٢) الأحاديث المختارة للضياء المقدسى ٢/٣٣٦، والحديث رواه الترمذى ٥/٧٢٦ عن زيد ابن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر قبل اليمن فقال: " اللهم أقبل بقلوبهم، وبارك لنا فى صاعنا ومدنا". وقال: " حسن صحيح غريب"، وقال الألبانى: " حسن صحيح"، ونحوه روى أحمد ٣/٣٤٢ عن جابر رضي الله عنه وقال: ونظر قبل كل أفق ففعل ذلك، وقال الأرنؤوط: "صحيح لغيره".

(٣) الترمذى ٥/٧٢٩، وقال: حسن صحيح غريب، ورواه أحمد ٣/٣٤٣ وقال الأرنؤوط: إسناده قوى على شرط مسلم.

(٤) قالوا عن الإسلام ص ١١٨.

(٥) فتوح البلدان ١/١٦٢.

آمنون على دمائهم وأولادهم ونسائهم وجميع كنائسهم، لا تسكن ولا تهدم". " ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس وجاء كنيسة القيامة، فجلس في صحنها، وحين وقت الصلاة، فقال للبطرك: أريد الصلاة. فقال له : صلّ موضعك. فامتنع وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفرداً، فلما قضى صلاته قال للبطرك : لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدى، وقالوا: هنا صلى عمر. وكتب لهم : أن لا يجمع على الدرجة للصلاة، ولا يؤذن عليها، ثم قال للبطرك : أرني موضعاً أبني فيه مسجداً فقال: على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب، ووجد عليها ردمًا كثيراً، فشرع في إزالته، وتناوله بيده يرفعه في ثوبه، واقتدى به المسلمون كافة، فزال لحينه، وأمر ببناء المسجد^(١) .

(١) تاريخ ابن خلدون ٢/٢٢٥.

الدولة الإسلامية ملاذ آمن للمضطهدين

لما فتح المسلمون مصر كتب عمرو بن العاص رضي الله عنه أماناً للطريق بنيامين، ورده إلى كرسيه بعد أن تغيب عنه زهاء ثلاث عشرة سنة، وأمر عمرو باستقباله عندما قدم من الإسكندرية أحسن استقبال. وعندما تمكن القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي من دحر المعتدين - بعد تسعين سنة من مجازر الغدر والخيانة والفساد في الأرض - لم يعاملهم بالمثل، إذ إنه لما أسلمت له الحامية النصرانية أمنهم على حياتهم، وكانوا أكثر من مائة ألف نسمة، وسمح لهم بالخروج في أمان وسلام، وأعطاهم مهلة أربعين يوماً للخروج، وقام بمداواة جراحهم، وتمريض مرضاهم، وسمح لهم بحمل ما يحملون من أموال منقولة (١).

محمد الفاتح وصيانة حقوق الأقليات:

ألقى السلطان محمد الفاتح الخطبة الآتية على جموع جيشه قبل فتح القسطنطينية: "إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعجزة من معجزاته، وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التمجيد والتقدير، فأبلغوا أبناءنا العساكر فرداً فرداً، أن الظفر العظيم الذي سنحرزه سيزيد الإسلام قدراً وشفراً، ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينيه، فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافي هذه التعاليم، وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسوها بأذى، ويدعوا القسس والضعفاء والعجزة الذين لا يقاتلون. ثم "إن السلطان محمد الفاتح عامل أهل القسطنطينية معاملة رحيمة، وأمر جنوده بحسن معاملة الأسرى، والرفق بهم، وافتدى عددًا كبيراً من الأسرى من ماله الخاص وخاصة أمراء اليونان، ورجال الدين، واجتمع مع الأساقفة، وهدأ من روعهم، وطمأنهم أنه سيحافظ على عقائدهم، وأمرهم بتنصيب بطريرك جديد، فانتخبوا أجناديوس بطريركا، وتوجه هذا بعد انتخابه في موكب حافل من الأساقفة إلى مقر السلطان، فاستقبله السلطان محمد الفاتح بحفاوة بالغة، وأكرمه أيما تكريم، وتناول معه الطعام، وتحدث معه في موضوعات شتى: دينية وسياسية واجتماعية، وخرج البطريرك من لقاء السلطان، وقد تغيرت فكرته تماماً عن السلاطين العثمانيين، وعن الأتراك، بل والمسلمين عامة، وشعر أنه أمام سلطان مثقف صاحب رسالة وعقيدة دينية راسخة إنسانية رفيعة، ورجولة مكتملة، ولم يكن الروم أنفسهم أقل تأثراً ودهشة، فقد كانوا يتصورون أن القتل العام لا بدّ لاحقهم، فلم تمض أيام قليلة حتى كان الناس يستأنفون حياتهم المدنية العادية في اطمئنان وسلام (٢).

(١) ينظر: الموالات والمعاداة في الشريعة الإسلامية ٥٩٥/٢.

(٢) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ١٤٩/١.

أدلة أصالة السلام فى شريعة الإسلام

ما أكثر الأدلة على أصالة السلام والتسامح والرحمة والرفق فى الإسلام، وكل ما سبق ذلك، ويمكن زيادة ذلك إيضاحاً بالأدلة الآتية:

١- جعل البسملة هى مفتاح السورة القرآنية: والبسملة هى : بسم الله الرحمن الرحيم ، وهى تشتمل على اسمين عظيمين من بين جميع الأسماء الحسنى لرب العالمين، وهما مشتقان من الرحمة، وهما : الرحمن الرحيم، وللقارئ أن يتساءل: لماذا لم يكن الاسمان يجمعان بين صفتين بدلاً من التأكيد على صفة واحدة؟ كأن يقول : بسم الله الرحمن العظيم، أو الرحمن القوى، أو الرحمن العلى وهكذا، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد التأكيد على مفهوم الرحمة وأصليتها فى الرسالة الإسلامية، والإنزال القرآنى، والإرسال للنبي ﷺ، والتعامل البينى داخل المجتمع الإسلامى، والتعامل مع غير المسلمين، والتعامل مع سائر المخلوقات والعاملين. وبناء على جعل البسملة فى الإسلام أول كل سورة من القرآن الكريم ما عدا سورة واحدة، وجب التعامل مع الآيات فى فهم القرآن الكريم فى ضوء ذلك، وجعل الرحمة هى المحكم القطعى الذى ترد إليه المتشابهات.

٢- إجمال أهداف الرسالة الإسلامية فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١).

٣- قول النبي ﷺ : " إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتى سبقت غضبى" وفى رواية: " إن رحمتى تغلب غضبى" ^(٢).

٤- تعامل النبي ﷺ مع ألد أعدائه، فقد كان عبد الله بن أبى بن سلول رأس الطابور الخامس فى المجتمع المدنى، وظهرت منه جرائم شنيعة، منها: تهديده لنظام الحكم فى المدينة وسائر المجتمع المدنى المسلم بقوله ﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ ^(٣)، ومنها : الإفك الأكبر والطعن المنظم فى عرض النبي المكرم ﷺ ، ومع ذلك فقد عفا عنه النبي ﷺ ، بل حينما مات عبد الله بن أبى غطاه بقميصه، واستغفر له حتى نزل قوله تعالى: ﴿ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ

(١) الأنبياء : ١٠٧.

(٢) البخارى ٦/٢٧٠٠، والرواية الأخرى انظر: ٦/٢٦٩٤.

(٣) المنافقون : ٨ .

لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿١﴾، وقال ﷺ: " لا يتحدث الناس أن محمداً كان يقتل أصحابه" (٢).

٥- ومثل ذلك الخوارج الطاعنون في عدل نظام حكم خير المرسلين، فعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال : أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين ، وفى ثوب بلال فضة ، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطى الناس، فقال : يا محمد، اعدل! قال : ويلك ! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ! لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر بن الخطاب ؓ دعنى يا رسول الله فأقتل هذا المنافق فقال : " معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى " (٣).

٦- ثقافة السلام القرآنية، وسورة الكافرون، وآيات عدم الإكراه على الدين، كل هذا وغيره يخدم هذه القضية المحورية أن " الإسلام دين السلام " .

(١) التوبة : ٨٠ .

(٢) البخارى ١٢٩٦/٣ .

(٣) مسند أحمد ٧٤٠/٢ .

خطوات الإسلام وما وضع من ضمانات لإقرار السلام

وفى وسعنا بعد هذه النظرات أن نقول " إن الإسلام كان أول وأكمل تشريع خطأ فى سبيل إقرار السلام العالمى أوسع الخطوات، ورسم لاستقراره أوفى الضمانات التى لو أخذت الأمم بها، وسلك الحكام والزعماء والسياسة نهج سبيلها لأراحوا واستراحوا ومن ذلك:

١- تقديس معنى الإخاء بين الناس والقضاء على روح التعصب.
٢- الإشادة بفضل السلام وطبع النفوس بروح التسامح الكريم، مع افتراض الوفاء، وتحريم الغدر ونقض العهود والمواثيق.

٣- حصر فكرة الحروب فى أضيق الحدود، وتحريم العدوان بكل صورته وإشاعة العدل والرحمة، واحترام النظام والقانون حتى فى الحرب نفسها، وللإسلام فى ذلك القدر المعلى ويقول القرآن الكريم تأكيداً لهذا المعنى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ؕ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ (١).

٤- التأمين المسلح وقد سبق الإسلام كل الخطوات العصرية إليه فى قول القرآن الكريم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۚ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝﴾ (٢)، ولقد ذكر رسول الله ﷺ ما كان فى الجاهلية من هذا المعنى وهو حلف الفضول بكل خير، وقال ﷺ عنه: " لقد شهدت فى بيت عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم " ثم قال: " ولو سئلت به فى الإسلام لأجبت " .

٥- تطبيق شرع الله تعالى، واتباع أوامر الإسلام، والقيام بتكاليف دينه بالطريقة التى يريد سبحانه ويرضاها، لا بالطريقة التى نميل إليها ونهواها. والتسامح الذى نحاول الكلام عنه ليس فكرة اخترعتها أهواؤنا، ولا مالت إليها رغباتنا، بل هو ديننا الذى جاء به رسول الله ﷺ من عند ربه سبحانه وتعالى .

(١) المائة : ٨ .

(٢) الحجرات: ٩ .

- ٦- إرساء مبدأ صالح الأخلاق، ومكارم الأخلاق الوارد في حديث النبي ﷺ المبين لهدف بعثته، وهذا يؤدي إلى وجود عالم أفضل ، ومجتمع أقوم .
- ٧- جمع المسلمين على أثقل الأعمال في الميزان، وأعظمها تقريباً للمسلم من نبي الرحمن ﷺ وهو حسن الخلق الذي يعنى : السلام فى أبهى صوره.
- ٨ - ائتلاف المسلمين وتوحيد صفوفهم، مع احترام بعضهم لبعض عند الاختلاف البينى.
- ٩- أن يختلط غير المسلمين بالمسلمين ويطلعوا على محاسن الإسلام، ويسمعوا كلام الله طوعاً مما قد يدفعهم إلى اعتناق الإسلام والدخول فيه، فتكون الدعوة إلى الإسلام هنا دعوة عملية، وقد أسلم بناء على هذه الطريقة أعداد كبيرة من الناس على مدى الأعصار.
- ١٠ - إشاعة مبدأ العدل والسلام مع الخلق أجمعين كما قال رب العالمين: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا

وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿١﴾.

لقد بنى النبي ﷺ القواعد الحضارية بنمط جديد لم يُعهد فى العالم، وكانت هذه القواعد تقوم على الفضيلة والتكافل والتسامح والحب والبناء والتعاون والإخاء، ونشر الحرية لشعوب العالم، ورد كل اعتداء، مع إبقاء ثقافة إعداد القوة اللازمة، ودعم المقاومة المشروعة؛ ولذا كانت دولة المسلمين ملاذاً آمناً للمسالين من غير المسلمين^(٢).

(١) الرحمن ٧-٨.

(٢) انظر : التعامل مع الآخر فى القرآن الكريم بين الغلو والجفاء لفضيلة الدكتور/ عبد السلام مقبل المجيدى، فقد نُقل كثيرٌ من فقرات هذا البحث عنه، ومن رام المزيد فعليه بمطالعة هذا الكتاب النفيس .